

## إِخْبَارُ الْعُلَمَاءِ بِأَخْبَارِ الْحُكَمَاءِ

### جمال الدين الفِطِّي<sup>1</sup>

يطلق لفظ "الحكمة" في اصطلاح كتب التراث الإسلامي على طائفة من العلوم العقلية التي تبحث في حقيقة الأشياء المحسوسة أو التي يدركها العقل بالنظر، و"علوم الحكمة" من العلوم الدخيلة التي اقتبسها مفكرو الحضارة الإسلامية بعد الاتصال بالحضارتين الإغريقية والفارسية بخاصة.

وقد قُسمت علوم الحكمة عندهم إلى أقسام منها ما عُرفَ بالعلم الإلهي والعلم الرياضي والتعليمي، كما قُسمت علوم الحكمة إلى عملية ونظرية. فالحكمة العملية تبحث في سلوك الإنسان وتعرفه فضائل النفس وآفاتهما، وتقابل ما يُعرف بعلم الأخلاق أو تهذيب الأخلاق، فإذا اتصل موضوعها بالجماعة القريبة عُرفت بعلم تدبير المنزل،<sup>2</sup> وإذا كانت عامة عُرفت بالحكمة المدنيّة أو السّياسيّة. أما الحكمة النظرية فهي معرفة الحقّ لذاته.

<sup>1</sup> هو: علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى، الشيباني، القفطي، جمال الدين، أبو الحسن (568هـ/1172م-1248هـ/1248م):

وزير، مؤرخ، أحد الكتاب المبرزين في النظم والنثر، مشارك في النحو واللغة والفقه وعلم القرآن والحديث والأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل.

ولد بقط من الصعيد الأعلى بمصر، وولي قضاء حلب في أيام الملك الظاهر، ثم الوزارة في أيام الملك العزيز سنة 633هـ/1235-1236م، وأطلق عليه لقب القاضي الأكرم، وكان جماعاً للكتب، قدرت مكتبته في زمانه بخمسين ألف دينار، وكان لا يحب من الدنيا سواها ولم يكن له دار ولا زوجة.

من آثاره: تاريخ النحاة وتاريخ بني بويه وتاريخ بني سلجوق وأخبار العلماء بأخبار الحكماء وإنباه الرواة على أنباه النحاة والدر الثمين في أخبار المتيمين وأخبار مصر وتاريخ اليمن وأخبار آل مرداس وأخبار المصنفين وما صنفوه وإصلاح خلل الصحاح للجوهري ونهضة الخاطر في الأدب، وكتاب المحدثين من الشعراء.

وانظر إن شئت: الذهبي: سير النبلاء 227/23. (145)، ياقوت الحموي: معجم الأدياء 381/4: 397 (675)، ابن شاعر الكتي: فوات الوفيات 191/2: 193 (324)، السيوطي: حسن المحاضرة 1/554 (12)، الزركلي: الأعلام 33/5.

<sup>2</sup> علم تدبير المنزل عندهم: علم يعرف منه اعتدال الأحوال المشتركة بين: الإنسان، وزوجته، وأولاده، وخدامه؛ وطريق علاج الأمور الخارجة عن الاعتدال.

قالوا: وليس المراد بالمنزل في هذا المقام: البيت المتخذ من الأحجار والأشجار، بل المراد: التآلف المخصوص، الذي يكون بين: الزوج والزوجة، والوالد والولد، والخدام والمخدوم، والمتمول والمال، سواء كانوا من أهل المدر، أو أهل الوبر.

(راجع: حاجي خليفة: كشف الظنون، 381/1).

وقد قَسَمَ القدماءُ علومَ الحكمة -وعنهم أخذ المفكرون الإسلاميون ومنهم ابن خلدون<sup>3</sup> - إلى سبعة علوم هي: المنطق، والأرثماتيقي (وهي الحساب)، والهندسة، والهيئة (وهو: الفلك)، والموسيقى، والطبيعات، والإلهيات، ولكل علم من هذه العلوم فروع تتفرع عنه، كما استُخدمَ لفظُ "الحكمة" مرادفاً لعلم الكيمياء، ونُقلت هذه العلوم إلى العربية منذ العصر العباسي الأول وحذقها جماعة من المفكرين المسلمين كالفارابي وابن سينا وابن رُشد وابن الصائغ؛ حتى لقب الفارابي بالمعلم الثاني بعد أرسطوطاليس وأوكل إليه المنصور الساماني إنشاء مكتبة بأصبهان عرفت باسم "صوان الحكمة".

ولما رأى بعضُ المفكرين المسلمين في العلوم الحكمية ما يخالف الشرع وضعوا دراسات للعقائد عُرفت باسم علم الكلام، ومنهم من مزج بين هذه العلوم وبين أصول الشرع كابن حزم فتصدى لهم ورد عليهم، ورَيَّفَ آراءهم آخرون كابن رشد والغزالي.<sup>4</sup> ولقد اهتم القفطي بالتصدي لترجمة أعلام المشتغلين بعلوم الحكمة أو شيء منها، فكان كتابه "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" -الذي اشتهر بين الناس بشطره الثاني (أخبار الحكماء)<sup>5</sup>- ولقد حدد الغرض من تأليفه في صدر الكتاب فقال:<sup>6</sup>

"وقد عزمْتُ -بتأييد الله- على ذِكر مَنْ اشتهر ذكره من الحكماء من كل قبيلة وأُمَّة قديمها وحديثها إلى زماني وما حُفِظَ عنه من قول انفراد به أو كتاب صنفه أو حكمة عَلِيَّة ابتدعها ونُسِبَت إليه. فإني رأيتُ ذلك من الأمور التي جُهِلَت والتواريخ التي هُجِرَت، وفي مطالعة هذا اعتبار بمن مضى وذِكر من خَلَف. وهو اعتبار أرجو به الثواب لي ولقارئه إن شاء الله تعالى..."

وقد اشتمل "أخبار الحكماء" للقفطي على نحو أربعمائة ترجمة<sup>7</sup> من علماء الحكمة (في الإلهيات، والفلسفة، والمنطق، والفلك، والتنجيم، والرياضيات: الهندسة والمثلثات والميكانيكا والحساب، ... وغير ذلك) في شتى الأمم من بدايتها إلى عصر المؤلف في القرن 7هـ / 13م، من المصريين القدماء، والكلدان،

3 راجع مقدمة ابن خلدون، بيرزيت: مؤسسة جمال، ص339

4 عطية الله، أحمد: القاموس الإسلامي 127/2: 128، وانظر أيضاً: الشهرستاني: الملل والنحل 17/3، كشف الظنون 1/676:

681، التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون 36/1، الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز 46/1: 54، 55

5 مثلاً: طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة 289/1

6 أخبار الحكماء ص 2

7 وفق النسخة المنشورة التي بين أيدينا، مصر: مطبعة السعادة.

واليونان، والرومان، وعلماء الحضارة الإسلامية، على اختلاف دياناتهم من الوثنيين والصابئة واليهود والنصارى والمسلمين، من المؤمنين والملحدين والمشركين.

وافتحه بترجمة إدريس عليه السلام، على زعم من قال -وكذبوا- أن العلوم الحكيمية كانت نبوة أنزلت عليه (عليه السلام) -أورثها لتلاميذه وتلاميذ تلاميذه وهلم جزاً.<sup>8</sup>

ساق القفطي تراجم كتابه مرتبة على الحرف الأول -فحسب- من أسماء الشخصيات التي ذكرها، وقد خلط الأسماء بالنسب (فذكر "التميمي" -مثلاً في التاء بين الأسماء)، ثم أعقب الأسماء بالكُنى، ثم الأبناء (أي مَنْ عُرِفَ بابن فلان)،<sup>9</sup> وبهم انتهى الكتاب.

وليس للتراجم منهج محدد، فالمؤلف يسوق في الترجمة ما يعرفه عن الشخصية دون اعتبار للطول أو القصر، فجاءت التراجم متباينة الطول، احتوت على ما بلغه من أخبارهم ومؤلفاتهم وشيء من أقوالهم.

ولم يكن التحقيق العلمي هو هاجس المؤلف،<sup>10</sup> الذي لم يعرف عنه الدراية بعلوم الحكمة أصلاً، لذا جاء الكتاب غير محرر، وجاءت فيه أخبار وأقوال وآراء تردد ما كان شائعاً من ثقافة عصر المؤلف وما قبله من أقوال اليونانيين والأخباريين وغيرهم تحتاج إلى التمهيص،<sup>11</sup> لكنها -على أية حال- لا يمكن تجاهلها ففيها ما بقي لنا من معرفة تتصل بالحوادث والشخصيات القديمة، وعلينا أن نعكف على هذه الأقوال لاستخراج الصحيح من بينها.

وفي الكتاب أسماء شخصيات تحتاج شيئاً من التأمل لمخالفتها النطق أو الرسم المتعارف عليه الآن (مثل أوميروس الشاعر،<sup>12</sup> الذي يعبر عنه اليوم بهوميروس،.. وغيره)

8 انظر ص 2

9 مثلاً: ابن أبي رميثة، ابن وصيف، ابن مقشر،... إلخ

10 عدا إشارات نادرة في بعض مواضع الكتاب أشار فيها المؤلف إلى إعراضه عن سياق بعض الأخبار لبعدها عن المعقول

11 انظر مثلاً قصة السمكة العجيبية ص 53: 54

12 ص 49

والكتاب غني بالمعلومات عن أعلام الحضارة الإسلامية في شتى العلوم العقلية والعملية، مع بيان آرائهم ومهاراتهم وحيلهم وأفكارهم ومخترعاتهم وفوائد كثيرة متعلقة بهم، كما يعكس صورة صادقة لما كانت تروج به بلدان الإسلام من عناية بالعلم واهتمام بالبحث والمناقشة والمناظرة أيضاً.<sup>13</sup>

وقلما أشار القفطي إلى مصادره التي لم نتبين منها إلا القليل مثل: الفهرست لابن النديم و"طبقات الأطباء والحكماء" لابن جُلجل.<sup>14</sup>

وللكتاب عدة مخطوطات منها نسخة قديمة كتبت سنة 622هـ (في حياة المؤلف)، وهي محفوظة بمكتبة خالد أفندي.<sup>14</sup>

وللزوزني:<sup>15</sup> "المنتخبات المقتطفات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء"، وهو الذي نشره المستشرق ليبرت Lappert باسم "تاريخ الحكماء" في ليزنيك سنة 1904م في 488 صفحة، ثم أعاد طبع المختصر أمين الخانجي معتمدا على نسخة ليبرت مقابلا على ثلاثة نسخ خطية بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة 1326هـ / 1908م في 288 صفحة من القطع المتوسط، أضيف إليها فهرس للأعلام، وقد أعادت نشره مصورا عنها دار الآثار ببيروت (بدون تاريخ) باسم (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) بعد أن أسقطت صفحات من آخر فهرست الأعلام والاسم مصحف على غلاف الكتاب الخارجي والداخلي (بفتح همزة "إخبار").

وهي طبعة لا تليق بالكتاب فيها أخطاء وتحريف، ولا فهارس لها سوى فهرس التراجم، وهو ما يجب عن القارئ والباحث الكثير مما يذخر به الكتاب من ذخائر يصعب الوصول إليها بغير فهارس.

كما تُرجم كتاب القفطي قديما إلى الفارسية ميرزا محمد إبراهيم مستوفي في عهد السلطان العثماني سليمان الأول المعروف بالقانوني (- 674هـ / 1566م)، وتوجد من هذه الترجمة نسخة خطية في طهران.

13 مثلاً البصرة ص 59

14 كما قال بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، 44/6

15 محمد بن علي بن محمد الروزني صنفه سنة 647 هـ / 1249 م.